سلسلة قصص الأخلاق

7

قصص في التوكل

إعداد/ أحمد محمد حسين

محمد محمود القاضي

إخراج / علي بدوي

جميع الحقوق محفوظة

التَّوَكُّلُ الحَقِيقِيُّ

لَقِيَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – نَاسًا مِنْ أهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: مَنْ أنْتُمْ؟

قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ.

قَالَ: بَلْ أنْتُمْ الْمُتَواكِلُونَ، إنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِى يُلْقِي حَبَّةً فِي الأرْضِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ – تَعَالَى –.

فَالتَّوَكُّلُ الْحَقِيقِيُّ أنْ يَأْخُذَ العَبْدُ بِأسْبَابِ النَّجَاحِ فِي كُلِّ عَمَلٍ، وَيَتْرُكَ النَّتَائِجَ عَلَى اللهِ، كَالزَّارِعُ الَّذِى يَضَعُ حَبَّةً فِي الأرْضِ، وَيَتَعَهَّدُهَا بِالرِّعَايَةِ وَالسِّقَايَةِ، ثُمَّ يَتْرُكُ أمْرَهُ للهِ، فَهُوَ – سُبْحَانَهُ – الَّذِي يُنْبِتُ الزَّرْعَ، وَيُخْرِجُ الْحَبَّ.

أخلاق أهل الجنة

ذَاتَ يَوْمٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِصَحَابَتِهِ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرَّ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، والنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ (أَقَلُّ مِنْ عَشَرَةٍ)، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا (عَدَدًا كَبِيرًا) سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ. فَقَيلَ لِي: هَؤُلاءَ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وِلاَ عَذَابٍ".

وَدَخَلَ بَيْتَهُ دُونَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَنْ هَؤُلاءِ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ. فَلَمَّا عَلِمَ بِمَا قَالُوا خَرَجَ، وَقَالَ لَهُمْ: "هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ (أَيْ: بِرُقْيَةِ الْجَاهِلِيَّةِ) وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ (لاَ يَتَشَاءَمُونَ) وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ".

الثِّقَةُ بِاللّهِ

جَاءَ أَحَدُ النَّاسِ إِلَى الفُضَيْلِ بنِ عَيَّاضٍ، وَقَالَ لَهُ: لَوْ أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ فِي بَيْتِهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ يَثِقُ فِي اللهِ، فَيَأْتِيهِ رِزْقُهُ، فَمَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

قَالَ: إِذَا وَثِقَ بِاللهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ وَثِقَ بِهِ، لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْئًا أَرَادَهُ، لَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الأَنْبِياءُ وَلاَ غَيْرُهُمْ، وَقَالَ: (كَانَ الأَنْبِياءُ يُؤَجِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ). أَيْ: لأَدَاءِ الأَعْمَالِ مِنْ أَجْلِ الكَسْبِ الْمَشْرُوعْ، وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُؤَجِّرُ نَفْسَهُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَلَمْ يَقُولُوا نَقْعُدُ حَتَّى يَرْزُقَنَا اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَقَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -:

﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وَلاَ بُدَّ مِنْ طَلَبِ الْمَعِيشَةِ.

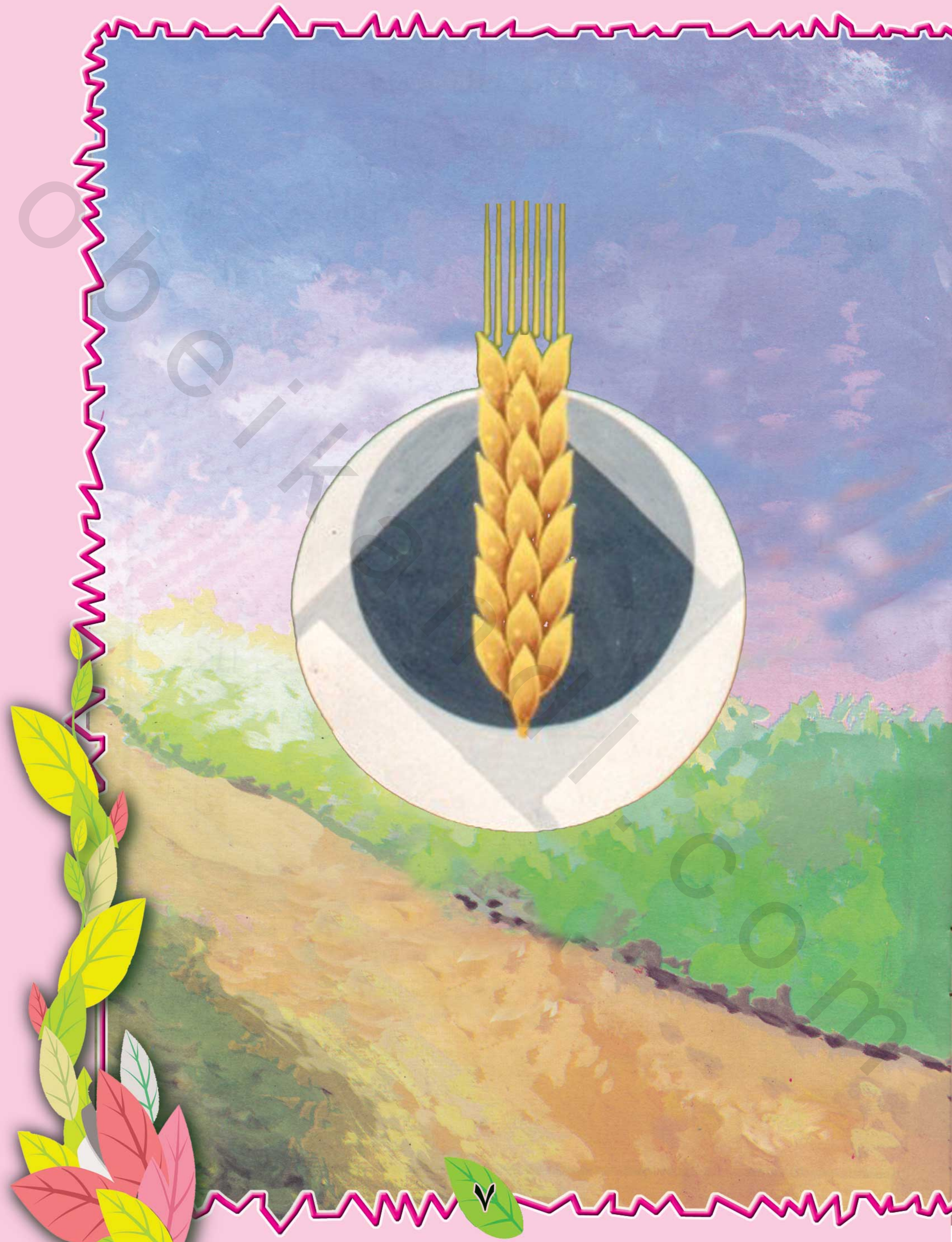

أَمْرُ اللّهِ

أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – هَاجَرَ وَابْنَهَا الرَّضِيعَ إِسْمَاعِيلَ، وَسَارَ بِهِمَا فِي الصَّحْرَاءِ حَتَّى وَصَلُوا مَكَّةَ فَوَضَعَهُمَا فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَلَيْسَ مَعَهُمَا إِلاَّ قَلِيلٌ مِنَ التَّمْرِ، وَإِنَاءٌ بِهِ مَاءٌ، ثُمَّ تَرَكَهُمَا وَهَمَّ بِالانْصِرَافِ.

فَأَسْرَعَتْ هَاجَرُ وَرَاءَهُ، وَهِي تَقُولُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكَنَا؟! وَظَلَّت تَسْأَلُهُ كَيْفَ يَتْرُكُهُمَا فِي هَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ بِهِ إِنْسٌ، وَلَيْسَ فِيهِ مَاءٌ وَلاَ طَعَامٌ، وَإِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟. فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ –: "نَعَمْ".

فَلَمَّا عَلِمَتْ هَاجَرُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ، أَدْرَكَتْ أَنَّ اللهَ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْهَا، فَقَالَتْ: إِذًا لاَ يُضَيِّعُنَا.

وَهَكَذَا تَوَكَّلَ إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَزَوْجَتُهُ عَلَى رَبِّهِمَا، وَفَوَّضَا الأَمْرَ إِلَيْهِ.

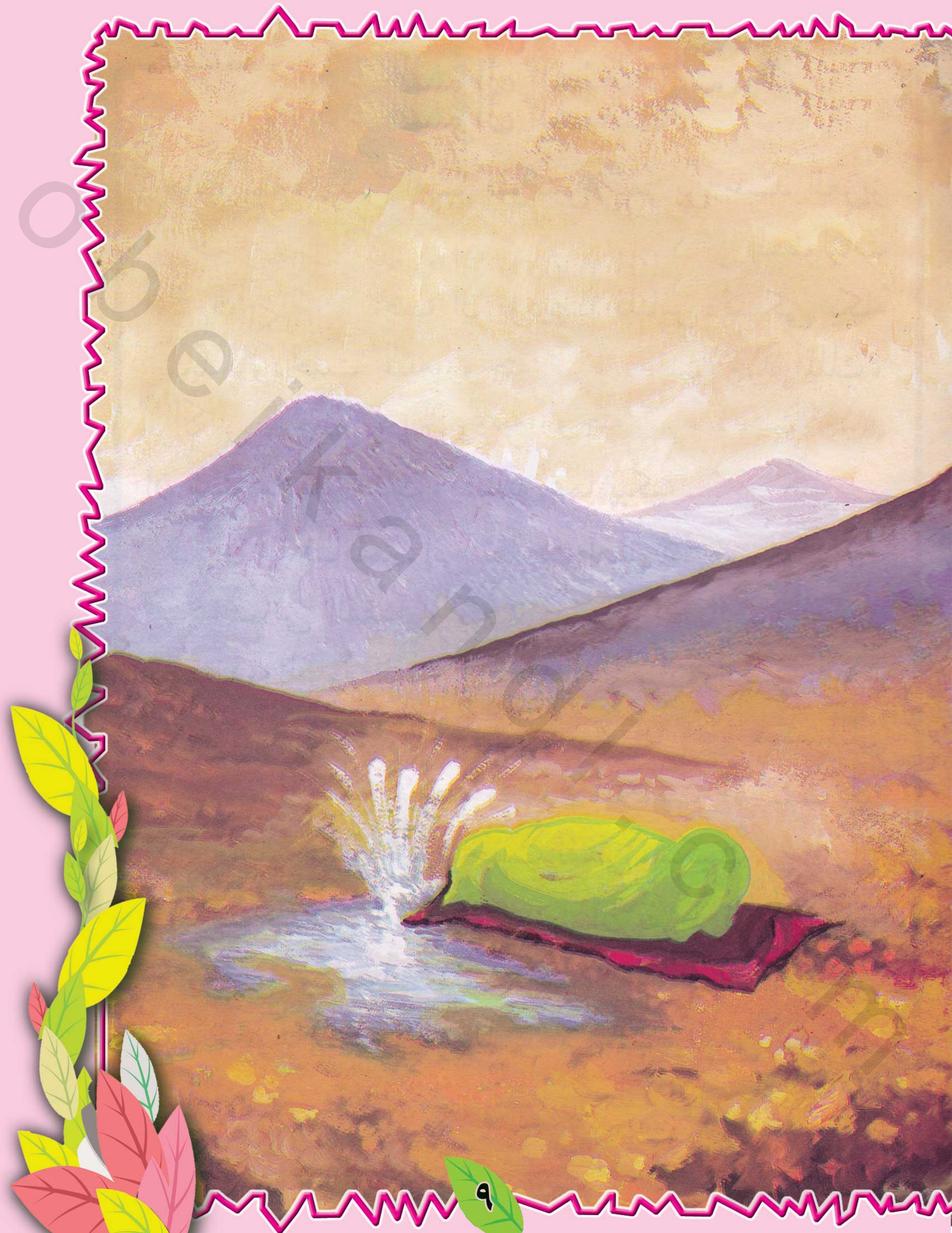

أَدَوَاتُ السَّفَرِ

كَانَ العَابِدُ الزَّاهِدُ إبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ – رَحِمَهُ اللهُ – إذَا أرَادَ السَّفَرَ يَأْخُذُ مَعَهُ إبْرَةً وَخِيُوطًا وَمِقَصًّا وَإنَاءً بِهِ مَاءٌ.

فَسَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ:

لِمَ تَحْمِلُ هَذِهِ الأَشْيَاءَ يَا أَبَا إسْحَاقَ وَأَنْتَ مِنَ الزُّهَّادِ؟

فَقَالَ إبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ – رَحِمَهُ اللهُ –:

هَذِهِ الأَشْيَاءُ لَا تُنْقِصُ التَّوَكُّلَ؛ لأَنَّ لله – تَعَالَى – عَلَيْنَا فَرَائِضَ...

وَالفَقِيرُ لَا يَكُونُ مَعَهُ إلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ، فَرُبَّمَا يَتَمَزَّقُ ثَوْبُهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ إبْرَةٌ وَخُيُوطٌ، تَظْهَرُ عَوْرَتُهُ؛ فَتَفْسَدُ صَلَاتُهُ..

وَإذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إنَاءٌ بِهِ مَاءٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَطَهَّرَ لِصَلَاتِهِ...

وَإذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِقْرَاضٌ (مِقَصٌّ) لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُصَّ شَارِبَهُ كَمَا أَمَرَنَا الرَّسُولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

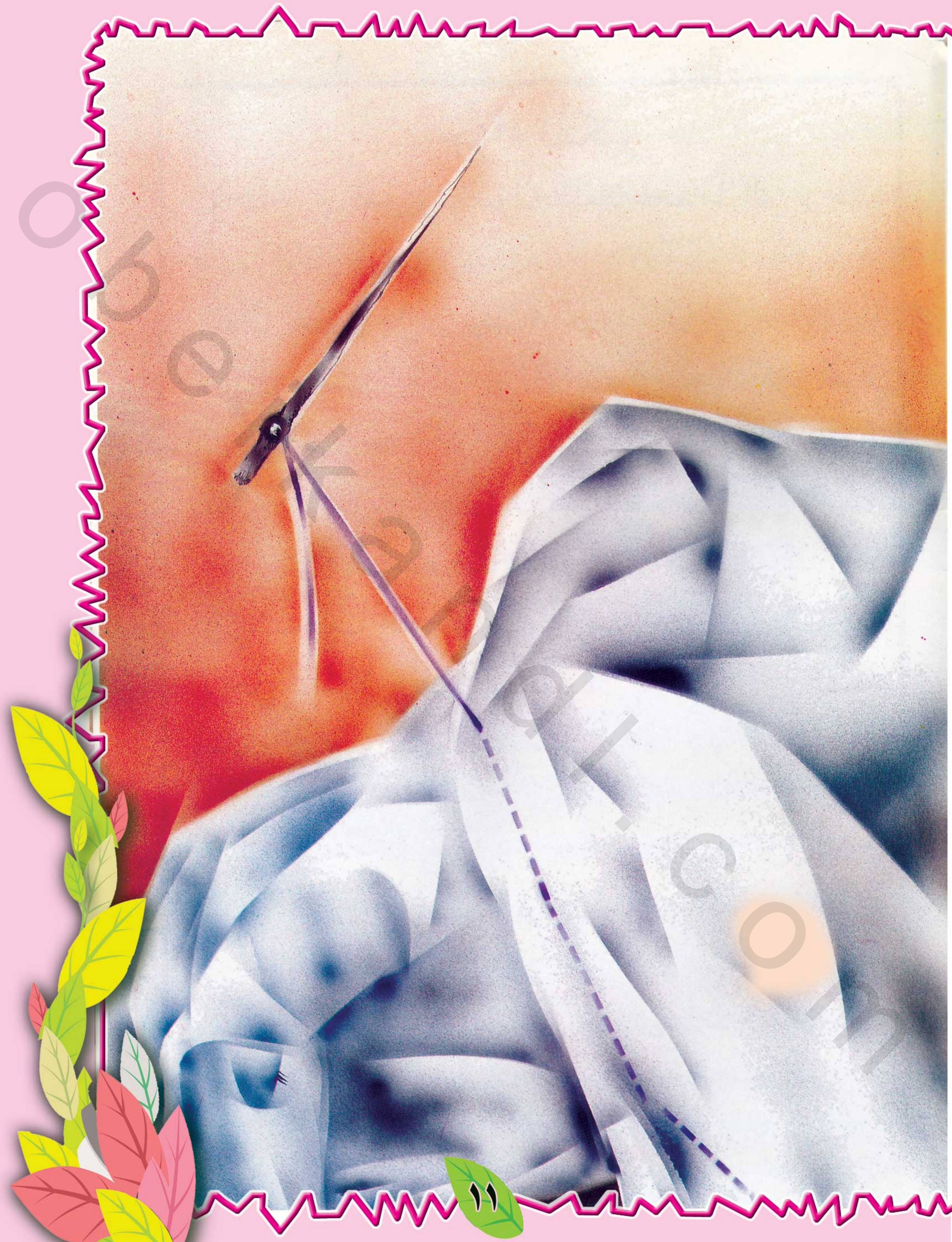

النَّجَاةُ

قَامَ إبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – بِتَحْطِيمِ أَصْنَامَ قَوْمِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ قَوْمُهُ بِذَلِكَ أَحْضَرُوهُ وَأَمَرُوا بِإِحْرَاقِهِ.

فَأَخَذَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَجْمَعُونَ الْحَطَبَ لِإِشْعَالِ النَّارِ الَّتِي سَتَأْكُلُ جَسَدَ إبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ –.

وَلَمَّا فَرَغَ النَّاسُ مِنْ جَمْعِ الْحَطَبِ، وَأَشْعَلَتِ النِّيرَانَ، وَجَاءُوا بِإِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – قَالَ: "حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ".

فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ –: "أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَأَمَّا إِلَى اللهِ فَنَعَمْ".

فَأَمَرَ اللهُ النَّارَ أَنْ تَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ –:

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وَنَجَّاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِفَضْلِ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ.

كَذَبَ المُنَجِّمُونَ

عِنْدَمَا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – الْخُرُوجَ لِقِتَالِ الْخَوَارِجِ، نَصَحَهُ أَحَدُ الْمُنَجِّمِينَ – وَكَانَ اسْمُهُ (مُسَافِرُ بنُ عَوْفٍ) – أَلاَّ يَسِيرَ بِالْجَيْشِ فِي هَذَا الوَقْتِ، وَحَدَّدَ لَهُ وَقْتًا آخَرَ لِيَتَحَرَّكَ فِيهِ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَلِمَ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ إِنْ سَارَ فِي هَذَا الوَقْتِ أَصَابَهُ وَأَصْحَابَهُ ضَرَرٌ شَدِيدٌ، أَمَّا إِنْ سَارَ فِي الْمَوْعِدِ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُ فَسَوْفَ يَنْتَصِرُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُنَجِّمٌ، وَلاَ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لاَ طَائِرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، وَلاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكْ. وَوَجَّهَ تَحْذِيرًا شَدِيدًا إِلَى مُسَافِرَ بِأَلاَّ يَعْمَلَ بِالتَّنْجِيمِ. وَسَارَ بِالْجَيْشِ، وَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ فِي مَوْقِعَةِ (النَّهْرَوانِ) فَهَزَمَهُمْ، وَقَالَ: لَوْ سِرْنَا فِي الوَقْتِ الَّذِي أَمَرَنَا بِهِ مُسَافِرٌ فَانْتَصَرْنَا، لَقَالَ أَحَدُكُمْ: سَارِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْمُنَجِّمُ...

أَيُّهَا النَّاسُ تَوَكَّلُوا عَلَى اللهِ وَثِقُوا بِهِ، فَإِنَّهُ يَكْفِي مَا سِوَاهُ.